إهـــــــداء2005

أ.د. عبد الله شحاتة

القاهرة

أ.د. عبدالله شحاتة

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾

فتاوى وآراء

منهج حياة للمجتمع المسلم

١٢٢٩٩١

اسم الكتاب: فتاوى وآراء.. منهج حياة للمجتمع المسلم.

المؤلف: أ. د. عبدالله شحاتة.

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.

تاريخ النشر: الطبعة الأولى يناير 2005م.

رقم الإيداع: 2981 / 2005

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3006-8

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى ـ المهندسين ـ الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: PubIishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) ـ فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى ـ الفجالة ـ
القاهرة ـ ص. ب : 96 الفجالة ـ القاهرة.
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) ـ فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجانى: 08002226222
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: Sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5230569 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

احصل على أى من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب / CD)
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع
www.enahda.com

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.

المقدمة

اشتهر الدكتور عبد الله شحاتة (رحمة الله عليه) بيسره وسماحته، وكانت نظرته إلى التيسير ليست نظرة ترفيه، ولكنها تعكس رؤيته لروح هذا الدين التى ترشد إلى أن الأمر إذا ضاق اتسع، وأن المشقة تجلب التيسير وأنه لا ضرر ولا ضرار، وأنه أينما توجد المصلحة فثمَّ شرع الله.. يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، ويقول - سبحانه -: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقال ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت*) لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**».

وقال ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»، وفى الهدى النبوى: «**ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا فكان أبعد الناس عنه**».

فقد كان رحمه الله يكره الغلوّ فى الدين، ويرى أن الإسلام رفع عن المسلمين ما لا يطيقون، فأباح مثلاً للمريض والمسافر الفطر فى رمضان، وأن القرآن والسنة حافلان بالدعوة إلى السماحة واليسر والتوسط، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

والإسلام أيضًا راعى مصالح العباد، فالشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصلحة كلها، فكان يرى أن الخروج بالتشريع من اليسر إلى العسر ومن الاعتدال إلى المشقة ظلم وافتراء وتشدّد فى الدين، ففى الحديث النبوى: «**لا تكونوا كبنى إسرائيل شدَّدوا فشدد الله عليهم**». فالمصالح المرسلة أصل من أصول التشريع؛

* المنبت: الذى يجهد دابته فى السير حتى تموت فى منتصف الطريق.

لأن شريعة الله تقوم على احترام الفكر ورعاية مصالح العباد والرحمة بهم. وقد جعل الله اليسر مكافأة منه على التقوى والإيمان وحسن معرفته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

سأله سائل ذات مرة: إنه يجد فى بعض فتاويه بعض التساهل وليس التيسير، فأجابه قائلاً: «ليس هناك شخص معصوم، إذا كان هناك تساهل وليس تيسير؛ فنحن نستعيذ بالله أن نخرج عن هدى قرآننا، وسنة نبينا، وسيرة سلفنا، وفقه أئمتنا ، ولكن أنا ماذا أصنع؟! أنا درست على شيوخ كانوا ميسرين، أنا تعلمت فى الماجستير على يد الشيخ محمد المدنى وهو تلميذ من تلاميذ محمد عبده والشيخ محمود شلتوت، وكان رجلاً مؤمنًا مسلمًا ميسرًا فقيهًا، فغرس فى قلبى هذا التيسير وليس التساهل، وأعوذ بالله أن أكون متساهلاً.

ولكن إذا كان فى الموضوع رأيان: رأى متشدد، ورأى ميسر، فأنا مع التيسير. ففى أمور الطلاق والبنوك وفى أمور كثيرة، نجد علماء لهم رأى يُحرِّم ونجد علماء لهم رأى يُبيح، وحاشا لله من التساهل؛ لأن من حلل حرامًا كان كمن حرم حلالاً، ولكن نحن نضع المسلم على الجادة، فنقول له: هناك من يُحرم وهناك من يُبيح، ونحن ننصحك ألا تلجأ إلى من يبيح إلا عند الضرورات، فالضرورات تُبيح المحظورات، والضرورات تقدر بقدرها. كذلك أنا أدرس الفقه، والفقه على المذاهب الأربعة، فقد نجد مثلاً فى مذهب الإمام الشافعى أن لمس الرجل للمرأة ينقض الوضوء؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، بينما يجد أبو حنيفة هذا اللمس كناية فى القرآن عن مخالطة الرجل بالمرأة، ونجد الإمام مالكًا يقول: الأمر يتعلق بالنية، إذا كان بين الرجل والمرأة شهوة أو لذة ينتقض وضوؤه. هذا الرأى يفيدنى، فأحيانًا أكون فى وسائل المواصلات ذاهبًا للصلاة، فيكون هناك لمس يضطر الإنسان إليه لا يقصده، فأستفيد برأى مالك أو رأى أبى حنيفة. إذاً نحن مضطرون إلى هذا التيسير وليس التسيب».

فكان يرى رحمه الله، أن هذا التيسير هو أصل هذا الدين وهو المنهج الصحيح لدعوة الناس، فكثيرًا ما رأيناه يفتى من صَعُبَ عليه أداء فرائض هذا الدين بالتمسك ولو بالقليل منه، ويشجعه على ذلك، وكنا حوله نرى ذلك تفريطًا فى أمر الدين قد يؤخذ من جانب السائل وكأنها دعوى للتسيب، ولكن الواقع العملى أثبت

لنا دائمًا أنه كان على صواب، وأن من يرتبط بالدين ولو بالجزء القليل منه، ينمى الله له هذه الرابطة ويمكنه من إتمام باقى فرائضه والانتهاء عن نواهيه. وذلك بعكس ما يحدث لمن تزجره وتهدده بالوعيد والعقوبة فتيئسه بذلك من رحمة الله.

يقول رحمة الله عليه: «**الأسس التربوية ترى أن يتم بناء الإيمان بالله عن طريق المحبة والمودة وعرض نعم الله وآلائه؛ حتى ينشأ النشء سعيدًا بإيمانه شديد اليقين بربه ودينه، وحبذا لو كانت العبادة لله أساسها الحب والرغبة وقوة الثقة والإيمان بالله. وقد درج بعض الخطباء على تحذير الناس من الشر وتذكيرهم بالموت وتكرير نغمة رتيبة عن فساد المجتمع وما أصاب النساء من خلاعة وما منى به الشباب من الاستهتار، وهذا كلام للاستهلاك المحلى، وكثرة تكراره لا تفيد إلا اليأس والأسف**» [٥].

فالمستقرئ للإرهاصات الأولى للفقه الإسلامى يمكن أن يلمس بكل سهولة ويسر أنه نشأ وثيق الصلة بحركة الحياة العملية، وبمشكلات واجهت الناس، وقضايا كانت محل اهتمام عموم الأمة، مما كان لابد معه أن توثق الصلة بين الفقه على وجه العموم وبين العمل التربوى، فحملت الأعمال الفقهية جملة مبادئ تشكل دعمًا وترسيخًا للتربية الإسلامية السوية للفرد والمجتمع، مثل:

- التخاطب مع العقل.
- إحاطة العقيدة بالأخلاق المهذبة للنفس.
- جعل التكاليف الشرعية لإصلاح الروح وتطهيرها وليس لإرهاق البدن وتسخيره.
- التآخى بين الدين والدنيا فى التشريع.
- المساواة، العدالة، الأمر بالمعروف، التكافل الاجتماعى[٥].

وبين يدى القارئ مجموعة واسعة من فتاوى الدكتور عبد الله شحاتة رحمة الله عليه، جمعت ودونت وصنفت من مصادر شتى على مدار عدة سنوات، هذه الفتاوى هى رؤية إسلامية أصيلة لواقع المسلم العصرى، وهى فقه معيش يهدف

---

* د. عبد الله شحاتة، الدعوة الإسلامية والإعلام الدينى.
* د. سعيد إسماعيل على، إسهام المدرسة المالكية فى الفكر الإسلامى.

إلى تربية الفرد وإصلاح المجتمع فجمعت بين هدى الدين فى التيسير والتبشير من ناحية، وبين رؤية واقع الحياة والأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التى يمر بها الناس فى هذا العصر من ناحية أخرى، فعلى المسلم أن يكون عالمًا بزمانه مقبلاً على شأنه كما يقول علماؤنا.

ولقد رغب الدكتور عبدالله شحاتة رحمه الله لفترة طويلة أن يخرج كتابًا للفتاوى ينتفع به الناس ويجمع بين دفتيه آراءه وفتاواه، ولكن لكل أجلٍ كتاب. فقد جاء أجله قبل أن يأذن الله لهذا العمل بالظهور، وجاء هذا العمل الآن بفضل الله وبفضل الجهد المضنى الذى قامت به دار نهضة مصر من إحياء للفكرة ومن تجميع للمادة العلمية من مصادر شتى وتصنيفها وإخراجها بصورة ميسرة للقارئ. فشكرَ الله لكل من ساهم وأعان فى إخراج هذا العمل.

ونسأل الله أن يتقبله فى العلم النافع وأن ينفع به ويثقل به موازيننا يوم القيامة، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أيمن عبد الله شحاتة

٢٩ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ
١٠ يناير ٢٠٠٥ م

■ الباب الأول ■

حول الإيمان والإسلام

- الإيمـــــان باللـــــه
- الطهـــــــــارة
- الصـــــــــلاة
- الـزكـــــــــاة
- الصـــوم وشهـــر رمضـــان
- الـحـــــج والعمـــــرة
- الذكـــر والدعـــاء والتوبـــة
- النـــــــــذور
- الأطعمة والأشربة والذبائح
- لباس وزينة المرأة المسلمة
- أحكام تتعلق بالموت والموتى

الإيمـــان باللـــه

هل الهداية من قدر الله أم بسبب أفعال العبد؟ وكيف يتحصل الإنسان على هداية الله؟ وما علامات الحصول على الهداية؟

■■ ميز الله الإنسان على سائر المخلوقات؛ لأن الكون كله خاضع لله خضوع القهر والغلبة، حتى الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والسماء مرفوعة، والأرض مبسوطة، والرياح جارية، والجبال راسية، والليل مظلم، والنهار مضيء، والشمس تتحرك، والقمر صغير ثم يكتمل، كل شيء يتحرك في مجاله ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ كل شيء خاضع لله، وفي قبضته، وفي نظامه، والعقل الذي ميز الله الإنسان به هو الذي يملك أن يذهب بك إلى المسجد أو إلى الحانة، يملك أن تأكل من حلال، أو أن تنهب من حرام، يملك أن تطيع الله، وتسير على الصراط المستقيم، ويملك أن تنضم إلى الأشرار ومن يتاجرون في السموم التي تفتك بالناس.

هذا هو الإنسان، وهذا هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي بينا، «هدينا» هنا بمعنى: بينا، والله تعالى يوضح ويبين، ثم يترك للإنسان اختيار الطريق، إذا وجدت في القرآن مثلاً: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أو ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هذه الآيات مرتبطة بآيات أخرى محكمة من صلب القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ومعنى هذا أن الله خلق في الإنسان الاستعداد للهدى والضلال، فقد أفلح من أطاع الله، وقد شقي من أخذ نفسه للهوى والمعاصي.

وفي الحديث النبوي الشريف أن النبي ﷺ جلس بين أصحابه ذات يوم فقال لهم: «**هؤلاء أسماء أصحاب أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم لا يزيدون ولا ينقصون، وهؤلاء أسماء أصحاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم لا يزيدون ولا ينقصون، وإن الرجل من أهل الجنة ليعمل بعمل أهل النار، حتى لا يبقى بينه وبين النار إلا مقدار فواق ناقة (أي يوم وليلة)**

فيسبق عليه القضاء فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة. وإن الرجل من أهل النار ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى إذا لم يبق بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة، فيسبق عليه القضاء فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار. قلنا: يا رسول الله أفلا نتكل على هذا؟ (يعنى إذا كان القضاء القديم قد كتب وقد بين أن أسماء أهل الجنة معروفة وأسماء أهل النار معروفة من الأزل، أفلا نتكل على هذا؟) قال رسول الله ﷺ: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له». إن الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾. ومعنى هذه الآية أن من أعطى الخير واتقى الله وصدق بالآخرة؛ فإن الله تعالى يزيده هدايةً وتوفيقًا ومعونةً ولطفًا وإرشادًا، وأما من أعرض عن الله وبخل بالمال واستغنى عن الله وكذب بالآخرة؛ يسلب الله عنه الهدى والتوفيق والمعونة؛ لأن هداية السماء غالية، هكذا سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، الله وضح لنا، فمن اختار طريق الله وذهب إلى المسجد وعطف على الفقراء وصلى وصام والتزم؛ يزيده الله عناية كما قال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وقال فى شرحها النبى ﷺ: «إن النور إذا دخل القلب اتسع له الصدر وانشرح». ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ قيل: يا رسول الله هل لذلك من علامة؟ قال: «نعم التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت».

فمن علامات الهداية عدم التمسك بالدنيا، والثقة أنها لا تزن جناح بعوضة، وأننا لابد أن نتركها، ثم العمل للآخرة: الصلاة، التهجد، استقبال ليالى القدر، إخراج زكاة الفطر، العطف على المساكين، الإنابة لدار الخلود.. والاستعداد للموت قبل نزول الموت. إننا سننتقل إلى الآخرة (والحياة الآخرة هى الحيوان) أى هى الحياة الدائمة ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ من علامات الهداية أن يعمل الإنسان للآخرة؛ لأنك إذا مت لم يتبعك المال ولا الدار ولا الزوجة ولا السيارة ولا المظاهر، وإنما لن يكون معك فى القبر إلا العمل الصالح الذى تثاب عليه، فما تراه فى القرآن من مثل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّه﴾ فإن مشيئة الله أن يهدى المتقين، وأن يسلب هداه عن الضالين من أجل هذا كان الإنسان مستحقًا للجنة بعمله، ومستحقًا للنار بفعله. والله أعلم.

سائلة تقول: إن لها جارة مسلمة ومؤمنة، ولكنها ترى أن الصوم والصلاة أمور روتينية، فكيف يمكن لها أن تقنع جارتها بالصيام والصلاة؟.

■■ فى القرآن أكثر من سبعين آية قُرنت فيها الصلاة بالزكاة مثل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وفى الأحاديث الصحيحة «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلام، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً» وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وهذه أمور معروفة من الدين بالضرورة. فعليكِ بنصحها إن استجابت، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ فاعرضى عليها بالرفق وهذا أمر لاشك فيه فهذه فرائض فرضها الله، يجب أن نحنى لها رءوسنا وأن نسمع ونطيع، وقال تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ وقال أيضًا: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

ما الوصايا العشر التى نزلت على موسى عليه السلام؟

■■ وردت فى سـورة الأنعـام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾. التزامنا بهذا الدين واجب على الرجل والمرأة، والتوسط والاعتدال والبعد عن أقصى الشمال وأقصى اليمين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ والنبى ﷺ يقول: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» والله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.. نحن لا نريد أن نتشدد وإنما نريد أن نقرب هذا الدين، دين سهل سمح بسيط؛ لأن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم.

نحن نريد أن ننهج الوسط الذى سلكه النبى ﷺ وسلكه الصحابة، وهذا معنى التقوى، والتقوى فسرها العلماء بالخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضى بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل، وقالوا أيضًا التقوى ذوبان الحشا لما سبق من الخطا. وقالوا أيضًا: التقوى ألا يراك الله حيث نهاك، وألا يفقدك حيث أمرك، وخلاصة التقوى مراقبة الله وتقواه فهو يراك ويطّلع عليك وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سائلة تسأل: منذ حوالى شهرين كنت غاضبة، فتلفظت بقول: أنا لا أؤمن بالله ولا بمحمد، علمًا بأننى مسلمة ولا أريد أن يغضب الله علىَّ. فما حكم الشرع فى ذلك؟

■■ الله تعالى يقول فى كتابه العزيز: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وأحيانًا يسبق اللسان ما فى القلب، حتى ذكر العلماء أن من ذهب لصلاة المغرب وهو يعلم أنه ذاهب لصلاة المغرب، فقال: نويت أصلى العشاء الله أكبر، فصلاة المغرب صحيحة؛ لأنه خرج من بيته لصلاة المغرب وسبق لسانه وهو عاقد النية على صلاة المغرب، وهناك أحاديث صحيحة أن الله تعالى سمع عبدًا من شدة فرحه حين رأى دابته بجواره وكان قد يئس منها قال: «**اللهم أنت عبدى وأنا ربك**» أخطأ من شدة فرحه فهو بدلاً من أن يقول: اللهم أنت ربى وأنا عبدك، أخطأ بلسانه، والله تعالى أشد فرحًا بالمؤمن من فرح هذا الرجل بدابته، فإذا كان الإنسان مؤمنًا وسبق لسانه فليتب وليستغفر الله تعالى والله غفور رحيم.

هل الكفر بقدرة الله على إحياء الموتى يعد كفرًا بقدرة الله بشكل عام، خاصة أن البعض يشهد لهم بالإيمان وإذا سألناهم: من خلقكم؟ لا يقولون الله.

■■ نحن نؤمن بالله تعالى ربًا، والله فى الإسلام هو علة العلل بمعنى أنه سر وجود هذا الكون، وهو يخلق ولا يُخلق وهو يجير ولا يُجار عليه، وهو على كل شىء قدير؛ لأنه خلق الإنسان من لا شىء فهو قادر على إحيائه مرة أخرى، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فليس هناك شىء صعب على الله.

وفى صحيح البخارى: «**يشتمنى ابن آدم، وما ينبغى له أن يشتمنى، يقول: ليس يعيدنى كما خلقنى**».

القرآن الكريم رسم هذه الصورة لكافر جاء للنبى ﷺ بعظم قد بلى ورمَّ وصار ترابًا، ففركه ونفخه وقال: يا محمد تزعم أن ربك يبعث هذا العظم بعدما رمَّ وبلى وصار ترابًا؟ قال النبى ﷺ: «**نعم ويبعثك ويدخلك النار**». وفى آخر سورة يس: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾ أمرًا عجيبًا ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ نسى أنه هو مخلوق من لا شىء: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾.

فهو إذا أراد شيئًا خلقه، وأمره ليس كثيرًا عليه؛ لأنه خلق السماوات والأرض ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وقد ورد فى سورة البقرة عندما مر عزير على قرية تهالكت قبورها وعظامها وقال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعدما صارت فى الرميم هل معقول أن تدب فيها الحياة مرة أخرى؟: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لعلى مكثت والشمس كانت فى الشرق والآن هى فى الغروب: ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أى لم يتغير ولم يدركه البلى ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلابد أن نؤمن بأن الله على كل شىء قدير: إحياء الموتى، خلق هذا الكون، إنهاء هذا الكون، تبديل الأرض غير الأرض، بعث الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية، إعادة الروح للجسم، حشر الناس ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، سرعة الحساب: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ تقول عائشة: يا رسول الله كيف يحاسب الله الناس جميعًا فى وقت واحد؟ قال: «**يا عائشة كما يرزقهم فى وقت واحد جميعًا يحاسبهم فى وقت واحد. إن الله سريع الحساب**»، أى لا يشغله شأن عن شأن فهو قادر على أن يكلم الآلاف؛ لأنه على كل شىء قدير، ويحاسبهم فى وقت واحد، فنحن نؤمن أن الله على كل شىء قدير، ومن ذلك إحياء الأمم وإجابة الدعاء لجمع متفرق، لذلك أُمرنا بالالتجاء إلى الله والإيمان به وتأكيد هذا الإيمان بالعمل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.

زوجى يكفر كثيرًا بالله، فإذا كان معه مال فهو سعيد ويحمد ربنا ويصلى، ولكن لما يضيق عليه المال يكفر بالله والرسول، وهذا حدث منه أكثر من مرة فهل عيشتى معه حرام، وماذا أفعل؟

■■ الحقيقة هذا تصرف سيئ من الزوج، والكفر نوعان: كفر عقيدة، وكفر نعمة، بمعنى أنه عندما يكون عنده مال يصلى ويكون راضيًا عن الله، ولما يمتحنه الله

يجده جاحدًا، والقرآن يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ﴾.

نحن نريد أن نشكر الله على السراء والضراء، وأنت يا أخت أقيمى مع هذا الزوج، ونحن نقول له ولأمثاله: أحيانًا يمتحننا الله بالبأساء والضراء ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ ﴿والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس﴾ الله إذا أراد بعبد خيرًا ابتلاه، فإن صبر اصطفاه فإن رضى اجتباه. ويقول النبى ﷺ: «أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه ولايزال البلاء يصيب المؤمن حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة».

يا أخى، اتقِ الله واشكره على النعماء، واصبر على البأساء، انظر إلى الأنبياء: نوح مكث مع قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم، وسيدنا إبراهيم وضع فى النار فجعلها الله بردًا وسلامًا عليه، وأيوب ابتلاه الله ونادى وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وذو النون خرج غريبًا وأُلقىَ به فى البحر فالتقمه الحوت وهو مليم ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومعنى هذا أن الله يقول: هذا نموذج فكل من وقع فى الكرب إذا لجأ إلى الله ينجيه، كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ونحن نقتدى بنبينا محمد ﷺ وقد صبر فى مكة، وصبر فى الطائف، ومد يده إلى الله، ففرج الله كربه، وعلينا ألا نكفر بنعمة الله وأن نرضى وأن نؤمن وأن ننتظر الفرج وأن نتيقن أن بعد العسر يسرًا، وبعد الشدة فرجًا.

وكان المؤمنون إذا تلاقوا تواصوا بالصبر وقرأوا سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

أنا مسيحية ومن مواليد القاهرة وكنت أحضر كل ندواتك، وأنا أحب الدين الإسلامى وأحب كل الكتب؛ لكن عندى عقيدة أننى موحدة بالله فقط. فهل أنا غلط؟

■■ نحن كمؤمنين ومسلمين نؤمن بكل الرسالات السابقة، وفى القرآن الكريم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

وفى صحيح البخارى يقول النبى ﷺ: «**مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يقولون: ما أحسن هذه الدار وما أكملها لو وضعت هذه اللبنة، فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسل**».

نحن نؤمن برسالات السماء، أرسل الله موسى وأعطاه معجزات هى: العصا، واليد يدخلها فى جيبه فتخرج بيضاء بياضًا يغلب نور الشمس، لأن السحر قد انتشر فى عهده فأعطاه معجزة من جنس عصره. وأرسل عيسى وقد انتشر الطب فأعطاه الله شفاء المرض وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى مؤقتًا أمام أمه بإذن الله تعالى. ثم أرسل محمدًا ﷺ، وكل نبى له معجزة غير رسالته، فيد موسى غير توراة موسى، وشفاء المرضى غير رسالة المسيح، الذى جاء ليُتم الناموس بالدعوة إلى الروحية، لكن القرآن كان هو نفس الدعوة ونفس المعجزة، كان القرآن كتاب الرسالة وكان معجزة الرسالة فصدق بالرسل السابقين، وكان فيه من البيان والإعجاز والعلم حيث أشار إلى خلق الكون وإلى أن السماء والأرض كانتا رتقًا أى ملتصقتين؛ لا تمطر السماء ولا تنبت الأرض، ففتقناهما أى ارتفعت السماء وأمطرت وانخفضت الأرض وأنبتت، ووجد الهواء ووجد الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ وقدم لنا معجزات عقلية تدعو للإيمان، وحينما يتفتح صدرك للإيمان بمحمد وبالقرآن فأهلاً ومرحبًا بك، وعندما تضلين فحسابك عند الله القائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وكما يقول الشيخ محمد عبده: هؤلاء أناس إذا عملوا صالحًا فجزاؤهم عند الله الذى يقول ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾.

أما نحن فنرى أن الإسلام خاتم الرسالات، وأن محمدًا ﷺ خاتم الرسل ويجب على الإنسان أن يضم إلى إيمانه بالرسل السابقة إيمانه بمحمد ﷺ والله أعلم.

هل هناك علاقة بين قوة الإيمان والخوف من الموت؟ فأنا ـ رغم قوة إيمانى ـ أخاف من الموت؛ لأنه سيبعدنى عن زوجى وأولادى وحياتى الدنيوية؟

■■ الخوف من الموت حدده النبى ﷺ فقال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالت عائشة: يا رسول الله كلنا يكره**

الموت! فقال: يا عائشة ليس ذاك ولكن العبد إذا كان فى إقبال على الآخرة وإعراض عن الدنيا فحين يكشف الغطاء ويرى ما أعد الله له فى الجنة يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، والعبد إذا كان فى إعراض عن الآخرة وإقبال على الدنيا فحين يكشف الغطاء يرى ما أعد له فى النار فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه».

ومن هذا الحديث يظهر كلام السيدة عائشة «كلنا يكره الموت» بمعنى أن الإنسان إذا كان عنده زوجة وبيت وأولاد فهو حريص على استمراريتهم، ولكن ينبغى أن نعلم أن الخوف من الموت قد يزيد فينقلب إلى مرض، نحن جميعًا بشر، لكن إذا كان الإنسان يعمل أعمالاً صالحة يرى أن الموت ظاهرة طبيعية، ونحن مازال فينا أثر من قدماء المصريين فى احترام الموت والحزن على الميت. وبعض الناس عندها موضوع الحزن شديد، وكذلك الخوف من الموت ربما يصبح مرضًا، وأنا بشر عادى لو جاء الموت أهلاً وسهلاً فلماذا أخاف، إذا كان المرء لديه رصيد من الأعمال الصالحة والإيمان وحب الله فسوف يقبل على الله. وكثير من الصالحين عندما يظهر له ملك الموت يقول له: حبيب جاء على غفلة لا أفلح من ندم. وأما الفاجر عندما يظهر له ملك الموت يقول له: أمهلنى حتى أرجع فأصلى، ولكن هيهات ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾. وليست السائلة هى أول من سأل فى هذا الموضوع وبعض الناس يخاف من الموت خوفًا مرضيًّا، لذا يجب أن نؤمن بالله وبالقضاء والقدر ونرحب بكل ما يأتى من الله.

تسأل: لماذا الفوز دائمًا فى الدنيا مرتبط بالقوة، خاصة القوة الشريرة غير المستخدمة فى الخير؟

■■ الدين أمرنا أن نُعِدَّ القوة، والله تعالى يقول ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ والنبى ﷺ يقول: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كُلٍّ خير**» علمنا الدين أن تكون هذه القوة مرتبطة بمكارم الأخلاق، فنحن لا نستطيع أن ننكث العهد، لا نستطيع أن نعتدى على حرمات الآخرين، لا نستطيع أن نأكل المال الحرام، فالقوة فى الإسلام ليست القوة الظاهرية فقط، هناك القوة المعنوية، ويكفى أن نعلم أنه حدث إحصاء فى أمريكا عن آلاف المترددات على عيادات الأطباء فوجد أن ٥٠٪ من المترددات على العيادات ليست بهن أمراض

عضوية، إنما هو الإحباط، الخوف، التردد، القهر، الإحساس بالانهزام، الخوف من المستقبل كلها أمراض قهرية داخلية.

لكن نحن ـ المؤمنين ـ نعتقد أن الإنسان المستقيم المطيع لله البعيد عن الحرام قوى قوة عظيمة جدًا، وأن الإنسان الذى يقع فى الحرام أو ينتهك الأعراض هو فى حالة إحباط وخوف وإحساس بأن صاعقة ما تنزل عليه إن لم تكن من الناس فهى من رب الناس.

فيا أختاه، ليست القوة فقط فى الظاهر، إنما القوة المعنوية والدينية والطريق المستقيم هى أقرب الطرق لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة.

ما علامات يوم القيامة الصغرى والكبرى؟

■■ علامات يوم القيامة: قلة الأمانة، كثرة الخيانة، العقوق، وورد فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ سئل: متى الساعة؟ قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأنبئك عن أشراطها: أن تلد الأمة ربتها وأن يتطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان، وأن يصبح الحفاة العالة سادة الأمم**».

فمن علامات الساعة: أن الإنسان أمه تربيه وتكبره إلى أن يصبح فى منصب عظيم فلا يجد خادمة فيستخدم أمه عنده.

هذا أحدث تفسير «أن تلد الأمة ربتها» وهذا نتيجة العقوق، لابد للابن أن يكرم أمه مهما كانت، فالإنسانية فرضت علينا أن نكرم الأم التى حملت وتعبت ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ كذلك من علامات الساعة «أن يتطاول رعاة الإبل البُهم فى البنيان». يعنى الذى كان يرعى الجمل وعنده خيمة بنى عمارات شاهقة، و«أن يصبح الحفاة العالة سادة الأمم» يعنى صغار الناس أصبحوا هم الكبار، ومن علامات الساعة الكبرى نزول المسيح الدجال، وهو إنسان معه إمكانيات كثيرة يأمر السماء أن تمطر فتمطر فى أعين الناس. وورد فى الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله، بلغنى أن المسيح الدجال يكون معه طعام والناس فى أشد الجوع فأنا أفكر فى أن أضرب يدى فى ثريده وأتضلع من اللحم الذى معه وبعد أن أشبع أؤمن بالله وأكفر به، فتبسم النبى ﷺ وقال للرجل: «**بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين، فإذا وجدت المسيخ الدجال**